من الذاكرة

" غاليتي ليلى ، حبي ليلى ،بنتي ليلى ، شوقي ليلى .. كفايه وبس . تحيات قبلات . " 1970

هذه خطاب ارسله لي سيدي عندما سافرت المانيا مع عمي عمر وخالتي عائشة زيدان لأدرس هنا ك بعض تخرجي من الثانويه العامة من دارالحنان . خطاب اعتز به واحفظه عن ظهر قلب . ارجع بذاكرتي الى الوراء واتذكر طفواتي والمرحلة التي تليها حيث نشأت فى بيت جدي محمد حسين زيدان رحمة الله عليه

جدى " سيدي كما كنا نناديه ابو البنات الأنثي الأم الأخت ، الزوجة يحترم الأنثي يحبه ويحنو علينا نحن البنات . ويردد دائما كان كثير التعلق بي وكنت حفيده مدللة تعلق بى كثيرا ربما لبعدي عن امي وابي ، ربما لضعف بنيتي وكثرة مرضي . ولكن كان دائما يقول ليلى تعجبني ليلى ، لايفسدها الدلع والدلال . " سيدي كان مدرسة فى تعليم الحنان والرفق بالاطفال والرحمه سواء مع احفاده او ابنائه . اري بحكم خبرتي فى التربية ومساعدة الامهات والاباء فى توجيه سلوك ابنائهم ان سيدي مثالا يحتذيي به فى التوجيه والتعليم والتربيه ، الحنان والرفق وحسن الانصات من اهم مقومات التربية وهذه صفات كانت اساسا فى تعامله معنا سواء اطفال او مراهقين او شباب ." كنا نجلس بجانبه وينصت لنا بأهتمام شديد ينصت بكل جسده لما نقول " جزء من تدريب الاباء والامهات فى ورش العمل التى اقدمه الانصات بكل جسدك واهتمامك لابنائك " يستمع ويتفهم ويقدر . عندما بلغت الثانية عشر من العمر انتقلت من بيت ابى فى مكة المكرمة لعدم توفر مدارس جيدة انذاك بمكة للالتحاق بمدرسة فى جدة . كانت فترة صعبة فى البداية لبعدي عن والدي حقيقة وجدت الدعم من الجميع ولكن سيدي اسبغ على حنانه وعطفه لدرجة كبيرة حتى انه خفف عني وحشتي لامي وابى واخواني بمكة . كانت طلباتي مجابه على الرغم من قلتها ولكن كان يحبني بدرجة كبيرة . عندما اصبت بالقولون العصبي واصبت لااقوي على اكل اي شئ كان هو من يطبخ لى اكلى وي يجلسني بجانبه على سفرة الطعام "شوربة الكويكر بالخضار " وللان احب مذاقها لأنها تذكرني بسيدي الله يرحمه .

احب طبخه ، كان الرز السليق بالطريقة البدويه من الاكلات التي افضلها عندما كنت طفلة صغيرة وارفض الاكل بسبب ضعف شهيتي كانت امي ترسلني عند سيدي اكل معه الرز البدوي بكلتا يداي وكنت اكل بشهية . وامي غير مصدقة !

يحب الاطفال ويسعد لسعادتهم يجمع كل احفاده ويقطع لهم الحبحب على شكل حدوة وياكل معنا ويمازحنا .

فى رمضان يشتري لنا الشوكولاته بالبندق بعد الفطور نجلس حوله يوزع علينا الشوكولاته ونشرب شاي بالبحبق " مازالت احب الشاى بالحبق والشُريك بالجبنه اتذكر سيدي الله يرحمه ، خاصة فى لياليى رمضان "

سيدي الله يرحمه كان يكن لى من الحب الشئ الكثير . هو شخصيه مرهفة حساسه ييشعر باحساسيس الاخرين بل يلتقطه بحاسته السادسه : التلبثي " كنت محاطة من جميع اخوالى وستي بالحنان الان كنت كثير ما اشعر بوحشه اخفيها عنهم جميعا مشاعري ، على الرغم من صغر سني، وخاصة عن سيدى لأني كنت اعلم مدي حساستيه وحنانه وعدم قدرته تحمل الم الاخرين .

كنت استمتع برفقته كثير اروح معاه فى رمضان انا وسعود واحمد ابنائه نشتري الفول ونجلس فى المقعد الخلفي ننزل تحت المقعد ناكل من التميس والشُريك علشان ماحد يشوفنا وكان هو يضحك لضحكنا "

فى احد المرات اصبت بزكام حاد وشعرت بضيقه ووحشه لأمى، الله يرحمه التقط ذلك دون ان افصح ،، قال لي : ليلى قومي معايا انا وسعود واحمد نتفسح شويه ابغاكي معانا واخذنا على البحر وقال استشقي هوا البحر مفيد لك وفعلا خروجي من البيت ساعد فى تخفيف شعوري بالضيق " قد يكون امر صغير ولكن هذه الامور الصغيرة هي كبيرة فى نفوس الاطفال وتلتصق بذاكرتهم

.

بالنسبة لى كان صديق وجد كان يعرف كل اسراري ومشاكل طفولتي ومراهقتي كان الاب والجد الحنون ، يعرف مشاكل كل مرحلة عمرية كأنه طبيب علم نفس خبرته وعلمه ساعده على تفهم المراحل العمرية التي يمر بها ابنائه واحفاده . عندما كبرت واصبحت فى المرحلة الثانوية كنت دائما اجلس معه وقت سماع الاخبار واناقشه فيما اسمع وله الفضل الكبير فى كثير من ماتعلمته واكتسابي لكثير من المعلومات ومعرفتي بالاحداث الساسية وليت الايام ترجع للخلف وانهل اكثر من علمه ..

عندما كنا اطفال ونجلس معه فى غرفته ويصدف احيانا يكون وقت اذاعة اخبار وخاصة " هنا لندن " بالنسبة له بحكم علمه وطبيعة عمله يهتم بما يجري فى العالم من اخبار . وقت الاخبار كنا ننصت ونحترم رغبته ، كثير من الاخبار لم نكن نعيها ولكن وقليل منها اسقط فى الذاكرة ولكن هذا على المدي الطويل اثر فى اتساع مدراكنا وتنوع ثقافتنا والشغف فى تلقى العلم " وهذا ما لمسه زوجي الدكتور هداية الله حكيم فى بداية زواجنا قال لى مرة الاسرة الزيدانيه جميعهم اسرة مثقفة احب اجلس معهم ويشدني اطلاعهم الواسع " هذا بالطبع يرجع للأساس فى التربية ، التشجيع وتوفير البئية للأطفال مما يؤثرعلى كم تعلمهم .

كنت اخاف عليه كثيرا ، اتذكر حين حدثت نكسة 67 وسمع الاخبار قام ومشي فى الغرفة يهذي ويبكي بسبب خسارة العرب الفادحة فى هذه الحرب وكنت صغيرة لا أعي مدي الخسارة ولكن صرت ابكي لبكائه ، ووجدته يطبطب على ويهديء من روعى . ومن ذلك الحين اصبح يقول ليلى تحبني ويذكرني بهذا الموقف كثير ا . :أن بكائي اثر فيه وعرف مدي حبي له .. كان رحمة الله عليه يشجعنا كثير على العلم ويستطيع بحكم علمه وخبرته اكتشاف قدرات كل واحد منا كان يقول ليلى " تحسن التخطيط " تحفر البئر بأبرة " وفعلا عزز فى هذه المهارة وانا الان تقلدت مراكز قيادية تحتاج الى كثير من هذه المهارة التخطيط وبهدوء وصبر واصبحت هذه احد المميزات فى شخصيتي . ويردد دائما على مسمعي ليلى لايفسدها الدلع والدلال وبالطبع هذه الكلمات الايجابيه اثرت في كثيرا وعلمتني كيف اكون اكثر قبولا لدي الاخرين . كان يسمي اخويا خالد بالبطل عند ما كان خالد عمره اربع سنوات امسك عدنان الاخ الاصغر من الوقوع فى المسبح . عندما وصل رحمة الله عليه الى البيت وجد خالد عند المسبح ممسك بملابس عدنان ويصيح اخويا .. ومنذ ذلك الوقت اصبح يناديه بالبطل . التشجيع وإظهار نقاط القوة فى شخصية الابناء هو ما ينادي به التربوين فى العصر الحاضر .

سيدي دائما تفكيره ايجابي متفائل كان يقول دائما لى نطرد الحزن ولانفكر فيه بالرغم من انه عاش طفولة صعبة ربما هذا ما عزز لديه اغداق الحب والحنان سواء على الابناء او الاولاد . تفكيره الايجابي اثر كثير على مسيرتنا العلميه والعملية واصبحنا جميعا نملك التفكير الايجابي والمثابرة ومرونة التفكير .

له دور كبير فى دعم مسيرتي العمليه شجعني على الالتحاق بالرئاسه العامة لتعليم البنات . وقدم اوراقي الى ديوان الخدمة المدنية وحين صدر قبولى كان لابد من التحاق بدورة تأهلية لبدء العمل المهني وكانت الدورة قد بدأت وبحكم علاقاته مع مدير عام تعليم البنات بجدة استطعت الالتحاق بالدورة واجتيازها بتفوق وبدأت مسيرتي العمليه .

ما أذكره دائما كان يقول لي انت اشبه واحده بأمى لونك وصفحة وجهك تذكرني بامي التي فقدها وهو طفل صغير . كانت هذه الجملة تسعدني كثيرا لأنها تجعلني اكثر ارتباطا به ، وبناء علاقة اقوي لأني اشبه شخص هو يحبه الله يرحمك ياسيدي . دائما داعما لي فى مسيرة حياتى حتي بعد زواجي كان الله يرحمه يسأل عني ويتتبع اخباري .

ما يحزنني للآن قبل وفاته بأيام قلائل ذهبت لزيارته بقصد تودعيه وإخباره بسفري الى سنغافورة مع زوجي فى رحلة لحضور مؤتمر طبي لبضعة ايام ، وفى ذلك اليوم و عندما زرته لأودعه و جدت وجهه شديد الاصفرار ويظهر عليه التعب جلست بجانبه فترة ثم سلمت عليه وخرجت دون ان اخبره انى مسافرة اشفقت واستحيت ، وبعد وصولى بيومين سنغافورة ، اول يوم وصولي فجاءة استقيظت فجرا شيء ما ايقظني واتصلت بالوالدة وكان التوقيت فى جدة الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، اول سؤال سألتها كيف حال سيدي ؟ ردت على كيف عرفتي ! سيدك فى المستشفي تعبان وبعدها بيوم تصلنا رسالة من الفندق بخبر وفاته . كان موقف صعب ومؤلم قطعت رحلتي ورجعت وشعور بالألم الشديد " اقول ياليت ما سافرت وياريت ودعته وقبلته اكثر ... "

ربنا يرحم سيدي ويجعله فى عليين يارب العالميين .